

## عاقبة المتقين



«إِنَّ المتقين يحشرون في جان الخلد، جزاءاً بما عملوا من الصالحات في حياتهم الدنيا (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُودًا \* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُودًا) (مريم/ 85-86). والمراد بحشرهم إلى الرحمن حشرهم إلى الجنة وإنما سمي حشراً إلى الرحمن لأنَّ الجنة مقام قربه تعالى فالحشر إليها حشر إليه. أما المجرمين الكافرين المفسدين في الأرض فإنَّهم يركضون إلى جهنم كما يجري الضمآن إلى مجرى الماء جزاءاً بما كانوا يعملون. وورد أنَّ الإمام عليّ (ع) سأل رسول الله (ص) عن تفسير قوله عزَّ وجلَّ: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُودًا) قال (ص): "يا علي الوفاء لا يكون إلَّا ركباناً أولئك رجالٌ اتقوا الله عزَّ وجلَّ فأحبهم واختصهم، ورضي أعمالهم فسامهم الله متقين".

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ) (القمر/ 54-55). يضع القرآن الكريم المتقين في هذه الآية في جنات عظيمة الشأن، جليلة الوصف، والنهر قد يعني الجنس، أي النهر المصطلح عليه، وقد يعني السعة. والمراد بالصدق صدق المتقين في إيمانهم وعملهم، ولعلَّه يراد بمقعد صدقٍ إنَّ مقامهم فيه صدقٌ لا يشوبه كذبٌ مع نعيم دائم عند الملك الجبار المقتدر سبحانه وتعالى. وهذا ما يسرَّ قلب كلِّ إنسان متقي بما وعده من الثواب والحضور عند ربه الملك المقتدر. يقول النبي (ص): "يا أبا دجانة أما علمت أنَّ من أحبَّنا وأبتلي بمحبتنا أسكنه الله تعالى معنا؟ ثم تلا قوله تعالى: (فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ)".

إنَّ المتقين يوم القيامة في درجات عليا حيث النعم الوافرة والرزق الكريم، وهم ينظرون إلى تحتهم فيرون الكافرين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا، يئنون تحت العذاب الأليم.. (زَيْبُنَ لَيْلٍ ذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ يُرْزِقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

(البقرة/ 212). إنَّ الحياة الدنيا ببريقها وبهجتها تخدع الإنسان فينشغل بها وتستهويه شهواتها فينسى الله وينسى نفسه، فيدع نفسه تلهو وتلعب كما تشاء. والكفر هنا أما كفر مطلق، أي يكفر الإنسان بوجود الله سبحانه، ومقابلته إيمان مطلق، أو كفر بستر حقيقة من الحقائق الدينية، وتغيير نعمة دينية، فالإنسان في هذه الحالة كافر زينته له الحياة الدنيا.. (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص/ 83).

(مَنْزِلُ الْجَنَّةِ السَّيِّ وَغَدَ الْمُتَّقِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (الرعد/ 35). الآية الكريمة تكشف مقابلة رائعة بين عاقبة المتقين وعاقبة الكفار، فبينما ينطلق المتقون ليتمتعوا بنعيم الآخرة ورضى الله سبحانه وتعالى، ترى الكافرين يجرون أذيال الخيبة والذل وليس لهم إلا طريق واحد وهو طريق جهنم.

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص/ 28)، حيث لا يمكن التساوي في نظر العدالة الإلهية بين المتقين والفجار، وبين المؤمنين والمفسدين. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ \* نَبِيٍّ عِبَادِي أَنْبِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر/ 45-50).

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ \* وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ \* كَلُواوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّ زُنْجًا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (المرسلات/ 41-44). والآية الكريمة تسجل إذن وإباحية تصرف المتقين في الجنة.. (كَلُواوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الطور/ 19).. (وَيُنْزِلُ اللَّهُ السَّحَابَ اتَّخَفُوا بِمَا قَارَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السَّيُّءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر/ 61). ويقول تعالى: (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنِزْلُهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) (المؤمنون/ 111)، ويقول تعالى: (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَفُوا رَبَّهُمْ لَّهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) (الزمر/ 20).. ويؤكد القرآن الكريم على أن المتقين هم الفائزون.. (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا \* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا \* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا \* وَكَأَسًّا دِهَاقًا \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا \* جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا \* رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) (النبا/ 37-31)، ويقول تعالى: (أَلَا إِنَّ يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس/ 64-62).

ويعكس القرآن الكريم عاقبة المتقين من زاوية أخرى.. حيث يوجَّه السؤال إلى المتقين هذه المرة.. (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِذَلِكَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ \* جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل/ 32-30). والآية التالية ترينا جهًا آخر من وجوه النعيم الذي حَفَّ بالمتقين: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ \* فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* كَلُواوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ \* وَأَمْ دَدْنَاهُمْ بِغَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ \* يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا لَعْنًا لِمَنْ كَفَرُوا فِيهَا لَعْنًا وَإِطْوُفٌ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ \* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلَانَا مُشْفِقِينَ \* فَمَنْنَا اللَّهُ عَلَيْهِنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ \* إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّنَا هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) (الطور/ 28-17). طاهر الآيات الكريمة أنَّ الله سبحانه وتعالى يمتدُّن على الذين آمنوا أنَّه سيلحق بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان فتقرُّ بذلك أعينهم، وينعم الله على هؤلاء المتقين بجنت الخلد حيث تأتيهم المتعة واللذات الجسدية والمعنوية من الطعام والشراب والطمأنينة مع ملازمة صفة الاعتدال والحكمة، فالخمر في الجنة لا يؤثر على عقولهم، حيث ينفي القرآن اللغو والتأثير على شارب خمر الجنة، فيقول: (يَتَذَكَّرُونَ

فِيهَا كَأَسَاسًا لَا لَعْنًا وَفِيهَا وَلَا تَأْثِيمًا) .. ومن صفة هؤلاء المتقين أنهم كانوا ذوي إشفاق في أهلهم حيث يعتنون بسعادتهم ونجاتهم من مهلكة الضلال فبنوا فيهم روح الإيمان والدعوة إلى الله سبحانه .. وصدق الله سبحانه عندما وعد المتقين بإيراث جنات الفردوس، فقال: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون/ 10-11).

وتستمر الآيات القرآنية الكريمة في وصف حال المتقين في الجنة ... فتقول: (وَسَيَقِي السَّادِينَ اتَّسَقُوا رِبَّ هُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابَ لَكُمْ فَاذْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ قَوْلًا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنُدْعَاهُ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّ هُمْ وَفُضِي بِهِمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الزمر/ 73-75). ووعده المتقين بتزويجهم من الحور العين اللاتي لا يرين أحدًا غير أزواجهن، وهن ذوات غنج ودلال، وهن متشابهات لا يختلفن سنًا أو جمالًا، وكلما زاد أزواجهن نورًا وبهاءً زدن حسنًا وجمالًا .. يقول تعالى: (هَذَا ذِكْرُ وَإِنْ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنٌ مَتَابٍ \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٍ لَهُمْ فِي الْأَبْوَابِ \* مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٍ \* هَذَا مِمَّا تُوْعَدُونَ لِلْيَوْمِ الْحَسَابِ \* إِنْ هَذَا إِلَّا رَزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) (ص/ 49-54). (إِنْ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا \* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا \* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا) (النبا/ 31-33).

ويصف القرآن حال المتقين في الدنيا في معرض حديثه عن حالهم في جنات النعيم في الآخرة، فيقول إنهم كانوا قليلًا من الليل ما ينامون ويهجعون، ذلك أنهم كانوا مشغولين بالصلاة في الليل فيسألون المغفرة والتوبة، هذه سيرتهم مع الله سبحانه وتعالى حيث قيام الليل والاستغفار بالأسحار .. أما سيرتهم مع الناس فإنهم يعطون الفقير والمطلوم والمحروم، ولا يريدون من هذه الدنيا ولا من لباسها شيء .. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّ هُمْ إِنْ هُمْ كَانُوا قَدِيلَ ذَلِكَ مُجْسِدِينَ \* كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّائِلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ \* وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْيَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمِمَّا تُوْعَدُونَ) (الذاريات/ 15-22).

ويضيف القرآن الكريم صفات أخرى للمتقين، فيقول إنهم أولئك الذين يخافون الله غائبًا فيخشونه بالغيب، وتخضع قلوبهم لذكره، ويحفظون ما عهد الله إليهم .. يقول تعالى: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مِمَّا تُوْعَدُونَ لِلْكُلِّ أَوْسَابٍ حَفِيفَةٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (ق/ 31-35)، والنتيجة أن المتقين أهل الجنة يملكون كل ما تعلقت به مشيئتهم وإرادتهم فلمهم الخيار والمشئة فيما يريدون، وهذا تكريم لا يوصف من الله سبحانه وتعالى ..

ويتطرق القرآن الكريم إلى ثبات المتقين يوم القيامة في موقع آمن تحيط بهم الجنان الخسراء والعيون الجارية والحور العين ملائكة الجنة الجميلات "وهن غير نساء الدنيا الداخلات في الجنة"، هذا المكان الآمن في طرف، والمجرمين والكافرين في طرف آخر حيث العذاب الأليم والخزي الكبير .. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ \* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ \* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ \* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (الدخان/ 51-57). والآية تؤكد على أن حياة الجنة أبدية خالدة، حيث لا موت فيها ولا فناء، والموتة الأولى في الآية تعني موت الدنيا .. والواقع أن الإنسان إذا فاز في الحياة الأخرى فإنه حقا فوز عظيم، وكيف لا، وإن الحياة الأخرى لا نهاية لها، فإما نعيم مستمر، وإما عذاب لا نهاية له .. (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّ هُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ \* أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (القلم/ 34-36)، (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص/ 28).

في يوم القيامة - كما يصور القرآن الكريم - ترى الناس يتنازعون فيما بينهم، كل يتهم الآخر، ويلومه على دعوته إلى الضلال، فالأخلاء والأصدقاء يومئذ بعضهم لبعض عدو باستثناء المتقين. وهذا الاستثناء حاصل حتى في الحياة الدنيا، عندما تشتد الأمور وتضيق الحال فتري المتقين متعاضدين متآخين، يجمعهم الإيمان بالله والسير نحو مرضاته .. وغيرهم يلوم أحدهم الآخر .. يقول تعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ \* يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ \*

